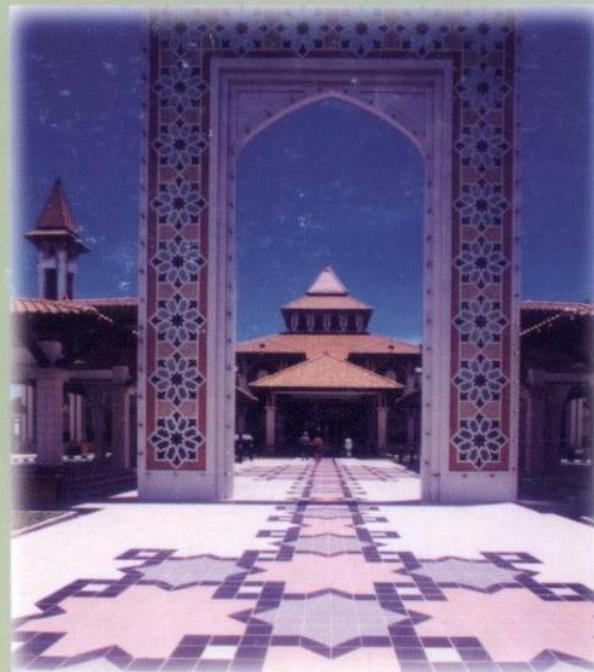




مجلة الدراسات العربية

السنة الأولى - العدد الأول

رجب 1425هـ - أغسطس 2004م



مجلة الدراسات العربية
جامعة بروناي دار السلام

يصدرها قسم اللغة العربية
بمعهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية
جامعة بروناي دار السلام



مجلة الدراسات العربية

السنة الأولى - العدد الأول

رجب 1425هـ - أغسطس 2004م

راعي المجلة

فضيلة الدكتور الحاج سربيني بن الحاج مطاهر
عميد معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية
جامعة بروناي دار السلام

مستشار المجلة

الحاج عدنان بن الحاج بسر
نائب العميد

رئيس التحرير
أبانغ حازمين بن أبانغ طه
رئيس قسم اللغة العربية

مدير التحرير

الأستاذ المشارك الدكتور عارف كرخي أبوغضيري

المحررون

الأستاذ المشارك الدكتور محي الدين الحاج يحيى
الدكتور محمد زين محمود
الدكتور عبدالرحمن تشيك
الدكتور صلاح الدين عبد الرحمن سلطان
الدكتور فرنسي عبد الحليم عبدالله صفا

سكرتير التحرير

فغiran الحاج سيف البحرين بن فغiran الحاج كولا

يصدرها قسم اللغة العربية

بمعهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين للدراسات الإسلامية
جامعة بروناي دار السلام

المحتويات

الصفحة

كلمة الشكر والترحيب

كلمة رئيس التحرير

الحرف العربي (الجاوبي) ومكانته في بروناي دار السلام

أبانغ حازمين بن أبانغ طه

الأصوات اللغوية

صلاح الدين عبد الرحمن سلطان

عرض كتاب: "تحليل الأخطاء اللغوية التحريرية لدى

طلاب معهد الخرطوم الدولي للغة العربية الناطقين

باللغات الأخرى" تأليف عمر الصديق عبد الله

محمد يحيى قايد الدرير

دراسة حول تأثير اللغة العربية على اللغة التوبية

في السودان

علي عبيد بريمة

دلالة السياق ومدى الانفاس إليها عند الأصوليين

أمين صالح

- ١٤٨-١١٩ تعدد الاحتمالات الموقعة في باب "الحال" دراسة نحوية
لغوية: بحث مبدئي
صاحب الدين بن الحاج لامنخ
- ١٦٧-١٤٩ أساليب تعليم الكلمات العربية في ضوء النظرية السياقية
عارف كرخي أبو خضريري
- ١٩٦-١٦٨ الفصائل النحوية: جوانب صعوبة تعلمها لدى الدارسين
الملايوين في تعلمهم العربية
محمد زين بن محمود
- ٢٢٨-١٩٧ نصوص كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة
تحليلية وتصور مقترن
عبد الرحمن بن تشيك
- ٢٥١-٢٢٩ صورة المرأة العاملة في أدب نجيب الكيلاني الروائي
محمد محى الدين أحمد
- ٣٠٠-٢٥٢ بانوراما نقدية لديوان "أوراق الشجر" للشاعر
"عارف خضريري"
كمال عبد العزيز إبراهيم

صورة المرأة العاملة

في أدب نجيب الكيلاني الروائي

* محمد محي الدين أحمد

المقدمة

إن طول حياة نجيب الكيلاني الأدبية جعله شاهد عصر بأكمله (١٩٣١م - ١٩٩٥م)، فقد أمضى -رحمه الله- نصف قرن من الإبداع في مرحلة من أهم المراحل الزمنية للأدب العربي، إذ تمت فيها تحولات ثقافية واجتماعية وسياسية وفكرية، وكان يعايشها كل المعايشة ويتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً، ورأينا ثبات فكره واتجاهه رغم تعدد التيارات الفكرية والمذاهب الأدبية، وكان رائداً للأدب الإسلامي الذي وهبه عمره وظل داعياً إليه تنظيراً في مؤلفاته النقدية، وعملياً من خلال مؤلفاته التطبيقية التي كانت خير معبر عن أفكاره، فالفن الروائي عند الكيلاني لا يقف عند الحكي المسرحي والتعبير العاطفي فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى المساهمة في خلق القيم، وخلق الذات، وخلق الواقع من جديد، وانطلاقاً من هذا الفهم يقف الكيلاني كاتباً من أكبر كتب الرواية العربية المعاصرة، ورائداً للأدب الإسلامي المعاصر.

يقول الدكتور حلمي القاعود في استهلله لكتابه الواقعية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية، الذي درس فيه أربع روايات نموذجاً على الواقعية الإسلامية في أدب نجيب الكيلاني الروائي:

"إن نجيب الكيلاني .. من أغزر كتابنا المعاصرين نتاجاً، وأجودهم حرفة، وأصفاهم تصوراً ومع ذلك ظل مهماً من جانب النقاد والباحثين لفترات طويلة،

* محاضر بمركز اللغات بجامعة برونوبي دار السلام.

في الوقت الذي كان فيه المهيمنون على الساحة الأدبية يغدقون اهتماماً هم نقداً ودراسة وتعريفاً بكتاب أقل موهبة وأدنى مستوى وأسواً رؤية، وسبب ذلك بعدهم عن الإسلام، أو ازدراؤهم له، أو تجاهلهم إياه، أو انتماؤهم إلى أيديولوجيات غربية، أو مفاهيم ناشرة عن التصور الإسلامي.^١

صورة المرأة العاملة في أدب نجيب الكيلاني الروائي:

إن نجيب الكيلاني يعدّ الأدب تعبيراً عن الحياة فيقول: "الفن تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة يتميز بالأصالة والصدق، وتعبير عن التجارب الإنسانية في شكل "فني" متعارف عليه في أغلب الأحيان سواءً أكان هذا الشكل قصة أم قصيدة أم مسرحية أم قطعة موسيقية"^٢ "وغاية الفن الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل."^٣ ويضيف قائلاً: "الفن الصحيح وسيلة نظيفة لغاية نبيلة."^٤ ولقد استطاع الكيلاني أن يعبر عن الكثير من جوانب الحياة من خلال تجربته الإنسانية، ومن خلال أعماله الروائية والقصصية مستعيناً في ذلك بأدواته الفنية، وجماليات الفن الروائي شكلاً ومضموناً، ومن هذه الأدوات الفنية الشخصية النسائية التي كان لها دور ملحوظ في كل الفنون والأداب، وصورة المرأة العاملة في العمل الأدبي هي انعكاس صادق لحقيقة الأوضاع وال العلاقات الاجتماعية السائدة خلال الفترة الزمنية التي تناولها الأعمال الأدبية، يقول الدكتور طه وادي: "لقد أعطى الفن المرأة بعضاً من الحقوق إلى جانب ما أعطاها الواقع."^٥ ولعل ما يؤكّد أهمية المرأة في الفن الروائي أن أول رواية عربية تحمل المعلم الفني للرواية تسمى باسم امرأة، وهي رواية زينب، والتي تلتها باسم امرأة أيضاً، وهي رواية سارة.

والدكتور الكيلاني شغل في أدبه بالمرأة، وتتبع حركتها في الحياة الاجتماعية؛ فكانت محوراً رئيسياً في تشكيل كثير من القصص، وعلى الرغم من أنه رسم منهجاً

مبتكراً ومميزاً لصورة المرأة العاملة إلا أن أحداً لم ينتبه إلى هذه القضية في أدبه، فهو يرى أن العصر الإسلامي كان:

"إيداناً بميلاد عصر جديد لتحرير المرأة، التحرير الحقيقي من أثقال الخرافات، وقيود الذل والاستبعاد، ونبذ الوصمات الأبدية التي دمغتها بها عصور الجهل والضلال والسلط، وإذا كان الإسلام قد ألزم المرأة بعض الآداب في المعاملات والسلوك والحركة والملابس وغيرها فإن هذه الالتزامات لم تكن هدف إلى الانتهاص من حرية المرأة وحقوقها، بل كانت لوناً من ألوان التكريم والتنظيم وتجنب ما يتوقع من إهدار حرمتها، والخراف مسيرتها، وحماية للمجتمع من الفتنة والانسياق وراء الغرائز الحيوانية دون ضابط أو رابط."^٦

لقد كان للمرأة بصفة عامة حضور واضح وحيوي في أدب الكيلياني الروائي، فقد حاول قدر المستطاع ألا يتتجاهلها أياً كانت الظروف والأجواء المحيطة بأحداث الرواية. ووجودها قد بدا طبيعياً بعيداً عن التكلف والإفحام، فالكيلياني قدم لنا نماذج مختلفة للمرأة وأسندها أدواراً عدة، فرأينا الزوجة، بكلفة الأنماط والأشكال، فهناك الزوجة الصالحة مثل الفداء والتضحية بدرية في ليالي الشهاد، والزوجة الخائنة وهيبة في ليالي الخطايا، وعنایات هانم في ليل وقضبان، والعابثة اللاهية زوجة عثمان باشا في رأس الشيطان، وعنایات هانم زوجة اللواء الشوريجي في قضية أبي الفتوح الشرقاوي، والجاهلة الأممية كقطيفة في الرواية السابقة، وأم العز في الربيع العاصف، والمتعلمة الوعاء كالمذكرة فضيلة في رجال وذئاب، وبنت المدينة الجسور كامرأة عبد المتجلبي في روايتي اعترافات عبد المتجلبي وأمّة عبد المتجلبي، والريفية الوعاء كسكنية في حمام سلام.

كما نجد المرأة ممثلة في الأم المضحية المكافحة أم سليمان في الطريق الطويل، ومسعدة أم محمد حسب الله في ملكة العنبر، والأم الغافلة الساهية أم هبيرة في رواية في الظلام التي تغاضت عن أفعال بنتها مع خطيبها فسلبها شرفها قبل زواجهما، والبنت

الفاضلة فاطمة بنت رجل الدين حاجي محمد في عذراء جاكرتا، وبنت الشيخ الشاذلي التي تزوجها كامل فأصلحت حاله في مملكة البلغاري.

كما نجد المرأة في صورة الأخت الحنون التي تكشفت أخواتها ورعنهم ونمث مالم وكانت خير راعٍ لأسرتها بعد وفاة والدها براعم في مملكة العنب، والجدة الحانية المربيبة جدة سليمان في الطريق الطويل، ونجد المرأة الشريرة مبروكة في مملكة البلغاري، والمرأة الرمز عنایات هام في قضية أبي الفتوح الشرقاوي التي ترمي إلى أحلام الفقراء الجهلة من الفلاحين بالثروة والغنى والجاه.

وفي أدب الكيلاني نرى المرأة المسلمة الصالحة التي تمثل أرفع صور الالتزام، وتارة أخرى نرى المرأة البغي، وبين هذه وتلك نرى شخصيات متباعدة، يقترب بعضها إلى المسلك الإسلامي، بينما يتارجع عدد من الشخصيات النسائية بين الالتزام، والانحلال، كما نجد المرأة النصرانية، والمرأة اليهودية وهناك المرأة المزارعة، والمرأة التجارية، والممرضة، والصحفية، والطالبة، وربة البيت، والأميرة، والفلاحة، والخادمة. وهناك التي تحكم إلى الدين وتلك التي تحكم إلى الخرافية، وأخرى تحكم إلى الهوى باختصار، المرأة في عالم نجيب الكيلاني هي المرأة في الحياة، فكما هو الواقع في المجتمعات التي جرت فيها أحداث رواياته، أُسند إليها كثيراً من أدوار البطولة، وساهمت في الحدث، وهذا تصوير أمين لواقع المرأة.

ولما كان نجيب الكيلاني رائداً للأدب الإسلامي، كان من الواجب دراسة مؤلفاته دراسة متأنية، وعرضها على مفهوم الأدب الإسلامي، واستخلاص نظرته للمرأة التي تعتبر من أعقد الأمور التي تشغل الأدب والأديب.⁷ وقد رأيته يهتم بالمرأة اهتماماً بالغاً ويتبع حركتها في الحياة فكانت محوراً رئيسياً في تشكيل كثير من الروايات، فأعطتها دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فجعلها تشارك في إصلاح المجتمع حتى صارت حمامه سلام كما في رواية حمامه سلام، وجعلها تكافح وتضحى بكل غالٍ ونفيس

من أجل إسعاد أبنائها كأم سليمان في **الطريق الطويل**، وجعلها تواجه التنصير في أدغال أفريقيا كجاما كما في **عمالقة الشمال**، وصور لنا المرأة مجاهدة تواجه اليهود كما في أرض الأنبياء ورمضان حبيبي، وتواجه الشيوعيين كما في عذراء جاكرتا، وصور لنا المرأة فرة اقتصادية فرأينا براعم في ملكة العنبر وأم صابرين في امرأة عبد المتجلي، كما صور لنا كثيرا من القضايا المتعلقة بالمرأة كالحياة الزوجية والحب والجنس، ومن خلال عرضه للمواقف رأينا نظرته الذاتية لصورة المرأة المثالية ورؤيتها لها، وهي تستمد معظم أصولها ومقوماتها من قيم الإسلام وتعاليمه، غير أن التزامه بمذهب الأدب الإسلامي لم يمنعه من إبداعه وتصويره للمرأة في كل صورها، وأحوالها.

ولأن قضية عمل المرأة تعد من أحضر القضايا، التي يشار حوالها كثيرا من الجدل والمناقشات بين فئات كثيرة من أفراد المجتمع، كان تصوير الكيلاني للمرأة العاملة، وما يتصل بها من قضايا، معلما بارزا في مسيرة الأدب الإسلامي، واستطاع من خلال سياق الروايات، أن يبين ما ينبع عن أي انحراف وتشويه لصورة المرأة العاملة من نتائج وخيمة، وهذا كان تصوير الكيلاني للمرأة العاملة في أدبه الروائي تصويرا صادقا غير عن رؤيته، وصورة المرأة العاملة عنده تستمد أصولها ومقوماتها في أغلب الأحيان من قيم الإسلام وتعاليمه، وسنعرض بعض الصور التي تعبّر عن رؤية الكيلاني للمرأة العاملة، وهذه النماذج إنما هي للتلميذ والدراسة النقدية وليس للإحصاء والحصر.

عمل المرأة في الصحافة:

صفاء بطلة رواية **رأس الشيطان** اختار لها الكيلاني مهنة الصحافة، وأعطتها دورا موازيا للدور بطل الرواية، مع أن الصحفيات من النساء كن قلة قبل ثورة ١٩١٩م، وهي مهنة تتطلب درجة عالية من الذكاء والثقافة وقوة الشخصية والحسن العام، وقد توفرت

كل هذه الصفات في صفاء " فهي فتاة طيبة نبيلة مكافحة سبقت عصرها، وحملت عبء النضال كإنسانة شريفة وسجّلت بكل فخر أن المرأة جديرة بأن تفعل الكثير. "^٨

وصفاء كانت تعمل لتنفق على أسرتها، وكانت هي العائل الوحيدة للأسرة المكونة من الأب المحال على المعاش، والذي لا يغادر البيت إلا نادراً، وأمهما، وعمتها التي تقّيم معهم من زمن بعيد بعد أن مات زوجها دون أن ينجّب منها، وأخيها الصغير؛ عندما فكرت صفاء في الاستقالة مع الدكتور ضياء بسبب اخراج خط الصحيفة، واتّجاهها إلى تمجيد عثمان باشا وزوجته، وبسبب المقالات التي دبرها لهما برّكات زميلهما في الصحيفة وسكرتير عثمان باشا، قال الدكتور ضياء لصفاء:

"إنها مغامرة."

- لكننا مرغمان..

- والأسرة التي تعولينها؟

وصحّت صفاء من أحلامها الثائرة على الحقيقة التعسة، في أول الشهر يجب أن تدفع إيجار الشقة، وحساب البقال والجزار والكواه والنور، وتشتري لأبيها القهوة والدخان وبعض العقاقير. "^٩

ونبيلة بطلة رواية رحلة إلى الله يظهرها الكيلاني منذ البداية راضضة لمعاشات خطيبها عطوة الملوان قائد السجن الحرفي، فلا تسمح له أن يمسها إلا في ظلال الشرع، ثم تتطور الأحداث وتزور السجن الحرفي فتطلع على سوءات النظام الحاكم الذي ينتمي إليه خطيبها عطوة، فتنقم على هذا الأسلوب فيزجرها عطوة، ويحاول استدراجها لتحقيق نزواته، فتفلح في الهروب خارج مصر استئشافاً لتنسيم الحرية، ولا تكفّ محاولاته في الإتيان بها، لكنه يفشل وتبدأ هي في مراسلته لتحطم معنوياته، كما تعلم في إحدى الصحف فتندد، بالتصريح والتلميح بالظلم والظالمين، وقد كانت: "تحلم بعالم نظيف تكون

العلاقات الإنسانية فيه مبرأة من الخداع والنفاق، لقد تألفت وهي تسمع أن بعض الصحف تبيع نفسها لمن يدفع أكثر، ومن هاجمه اليوم قد تدافع عنه غدا ... أي تناقض مريء هذا؟" ١٠

وفاطمة بطلة رواية عذراء جاكرتا تميز بثقافتها الإسلامية العالية وحماستها للدعوة، وكان والدها حاجي محمد إدريس يشرف على إدارة عدد من المدارس الإسلامية، وتتصحّر لنا قوة شخصيتها من خلال تعقيبها على عيديد في الندوة التي نظمت في إحدى كليات جاكرتا.^{١١} ولقد اشتدت وطأة الأيام عليها، حين اختطف والدها، وسجن خطيبها، واضطررت إلى العمل في الصحافة بعد اختفاء والدها، ولم تتوان لحظة عن خدمة وطنها والدفاع عنه.

عمل المرأة في التجارة:

وفي روايتي اعترافات عبد المتجلّي وامرأة عبد المتجلّي يقدم لنا الكيلاني نموذجاً للمرأة بنت المدينة الجسور أم صابرين، التي تعرف عليها عبد المتجلّي خلال رحلته في المدينة للبحث عن الوشن المسروق وكانت تعمل آنذاك في كشك صغير تبيع الشاي والمرطبات، وتكتد طوال اليوم سعياً على بنتها اليتيمة صابرين، وعندما تزوجها عبد المتجلّي الموظف الصغير، وأخذها إلى قريته قامت بالإعداد لمشروع تجاري، وأقنعت زوجها بطريقة عملية، وسوقت تجارتها في البداية متزلياً، وهذا الحوار يكشف حاجة الأسرة إلى عمل المرأة، يقول عبد المتجلّي:

"إنك تصعيين أمام الأمر الواقع.

قالت باسمه: إن مرتبك لا يكفي لإطعام البقرة والحمار.

- أدرك أنها على حق، فقال:

- ثم ماذا بعد ذلك؟.

- بقى أن نعلن عن افتتاح المحل..
- ضحك وقال: ونطلق عليه (سوبر ماركت أم صابرين!!)
- ولم لا أنت موظف ولا يحق لك التجارة. ^{١٢}

وبحكم خبرتها أو حسّها التجاري تنمو تجاراتها وتتوسع، وتعامل مع الناس بطريقة حسنة، وتكسبهم إلى جانبها مع التزامها بصورة المرأة المسلمة المحافظة، فقد منحتهم القروض والمساعدات، وجاالتهم في المناسبات، وشاركتهم في البهائم، وماكينات الري والزراعة، وساهمت في ترميم المدارس والمساجد، ووفرت حافلة للنقل من القرية إلى المدينة والقرى المجاورة، وبنت مقابر للصدقة، ورصدت جوائز للمتفوقين في المدارس وحفظ القرآن الكريم، وقدمت معونات لأصحاب الكتاتيب.

عمل المرأة في الزراعة:

ويقدم لنا الكيلاني في رواية ملكة العنب المرأة أنموذجًا للمرأة في أقصى حالات الإيجابية البشرية، والتزوع إلى الخير، والعمل من أجل الصالح العام. لقد جعل ملكة العنب امرأة عاملة تؤدي عملها بطريقة مثالية فهي:

"لم تلقي من التعليم إلا الإعدادية... حين مات أبوها خرجت إلى الحقل تزرع وتحصد، كانت أمها معتلة الصحة، وكانت لها اختان صغيرتان. وكانت أول من أدخل زراعة العنب في القرية على نطاق واسع، فقد نقلت ذلك عن أخواتها في قرية مجاورة اسمها "شراق" حتى أصبحت لديها خبرة طويلة في ذلك... وببدأت بزراعة أقدناتها الأربع التي تركها أبوها، وبعد أن بمحنت أخذت في استئجار المزيد من الأفندة بأثمان مغربية، حتى أصبح ما تزرعه يزيد على ثلاثة فدانًا وكان من الطبيعي أن تتزعم ما يمكن أن يسمى نقابة "زراع العنب" فهي

التي تختار المبيدات الحشرية والأسمدة المناسبة، وهي التي تحدد مواعيد الحصاد، وتتفاهم مع كبار التجار للحصول على أعلى سعر، ومن هنا أطلقوا عليها "ملكة العنب"، كل رجال القرية وأطفالها ونساؤها يعرفونها ويحبونها، ولم يعرف عنها قط ما يعيشن سلوكها.^{١٣}"

إن عمل المرأة في الزراعة في ريف مصر أمر طبيعي ومنتشر بشكل واسع، لكنها دائماً تقوم بمساعدة أهلها أو زوجها ولا تملك الأرض التي تعمل فيها، بل يملكونها زوجها أو الرجال من أهلها. لكنها في ملكة العنب هي صاحبة الأرض ورثتها مع أمها وأختيها عن أبيها، والكيلياني يجعل المرأة في ملكة العنب ولية أمر نفسها وأمر أسرها الصغيرة المكونة من النساء، والكيلياني أثبتت في ملكة العنب أن المرأة تملك قدرات عملية وعقلية وخلقية توهلها للقيام بمبادرات جريئة في عالم الاقتصاد والإنتاج وكذلك في السعي لحل المشكلات التي تطرأ على مجتمعها.

عمل المرأة في الطب:

تعد رواية رجال وذئاب من الروايات الناضجة بالنسبة للدكتور نجيب الكيلياني، حيث إنه كتبها في مرحلة متاخرة من مراحل نتاجه الأدبي سنة ١٩٨٥م، بعد أن اتضحت لديه الرؤية الكاملة والفهم الواعي لجواهر الأدب الإسلامي، كما أن هذه الرواية إثبات عملي على أن الأدب الإسلامي لديه القدرة على احتواء كل المجالات فهو لا يقتصر على التاريخ الإسلامي والأحداث الإسلامية والقصص الإسلامية فحسب، بل يمتد ليعبر عن قضايا المجتمع وأفراده ويناقشها ويساهم في حلها من خلال منظور إسلامي ومعالجاً إسلامية.

فالدكتورة فضيلة رمز النساء والطهر والأخلاق في هذه الرواية، قوية الشخصية، والحجاب الذي تلبسه يحمل الالتزام والصدق، وقعت في قصة حب غير متكاففة مع الدكتور عادل أبو الفتوح وهي غير مقتنة نفسياً وعقولياً لهذا الحب، ولكنها تحبه، حاولت أن تستشير أباها الشيخ علام العيسوي في أمرها ولكنه ترك لها حرية الاختيار، فلقد أحسن تربيتها دينياً وخلقياً فلها الحرية وعليها المسؤولية ومن هنا تقع فضيلة في براثن الصراع النفسي بين حبها ومبادئها، ومن خلال هذا الحوار النفسي يمكننا التعرف على هذا الصراع كما يعبر الكيلاني:

"بالأمس كانت تمنع، لكنهااليوم تمنى أن يفاحتها عادل في موضوع الزواج
مرة أخرى، وهو لا يفعل، وهذه الحيرة القاتلة لا تعني سوي أنها تحبه .. أجمل
تجبه على الرغم من عيوبه وترده وعلى الرغم من أفكاره التي تبدو شاذة في
بعض الأحيان، كانت واثقة من نفسها، وتعتقد أنها قادرة على إحداث التغيير
المطلوب له .. والحب يصنع الكثير...^{١٤}"

وكان فضيلة في حيرة من أمرها فهي تسمع الكثير عن عادل وعن علاقته غير الطيبة بنادية عبد الباقى، كما عرفت بعض الأشياء عن التقارير السرية التي يكتبها عادل في زملائه الذين ينتمون إلى مختلف الاتجاهات السياسية، ورشدي القصاص نفسه كان ضحية حقده وتقلقه، فكتب عنه تقريراً سرياً سلبه حريته، وألقى به في غياهب السجون، وعند هذه النقطة ينحو الكيلاني بشخصية فضيلة منحى جديداً يتسم بالنضج والقدرة على الاختيار، هذا في نفس الوقت الذي يلح فيه عادل على إتمام الزواج ولكن القدر لا يمهل عادل فيشرب من نفس الكأس التي أذاق منها الكثرين ولا عجب في ذلك "لقد فشلت الثورة في تمييز أصدقائها من أعدائها ...^{١٥} وبأسلوب منطقي وجذاب ينهي الكيلاني

روايته بالجمع بين الطهر والنقاء بزواج رشدي القصاص من فضيلة، وعلى الجانب الآخر يجمع بين عادل ونادية عبد الباقي في بؤرة الفساد الأخلاقي.

عمل المرأة في التمريض:

الممرضة منال بطلة الربيع العاصف تمثل قطب الأحداث في الرواية، وهي لا تواجه الطبيب رمزي، أو الباشكاتب عبد المعطي، أو المعلم حامد، أو الحاج علي فقط، بل تواجهه تغيراً كبيراً في نوع الحياة التي ستحياها في الريف، وهي التي لم تعتد الحياة بعيداً عن المدينة الزاخرة بمعظاهر الحضارة وكشفت الرواية ما يدور في نفسيات بعض أهل الريف، من خلال تعين إحدى الممرضات للعمل في الوحدة الجموعة في قرية شرشابة، وكانت هذه الممرضة من مدينة القاهرة، فذهبت للعمل في الريف وهي كارهة له، لما تعرفه عن الريف من جهل وفقر وتأخر، وتتطور علاقة هذه الفتاة مع الطبيب الذي تعمل معه، وهو قد قدم أيضاً من إحدى المدن المصرية، وتبين للممرضة أن هذا الطبيب يستغل الفلاحين أبغض استغلال، يأخذ الرشاوى بدعوى أنها هدايا، ويقبض ثمن علاجه للفلاحين الفقراء على الرغم من أن تعليمات حكومة مصر تقضي بأن يكون العلاج مجاني، والطبيب يعمل هذا بغية الوصول إلى الثراء السريع ليملك البيت والسيارة، ولو كان ذلك على حساب الفقراء من الفلاحين، الذين لا يجدون ما يقتاتون به إلا القليل، أما علاقة الممرضة مع بعض أهل القرية فتكشف أسراراً كانت تخفي على القرية نفسها، كتجارة المخدرات وقطع الطريق، والتلاعيب بضاعة الجمعيات التعاونية وغض البضائع التي تورد للوحدة الجموعة، كل ذلك يجري وكثير من الناس لا يعلمونه إلى أن قدمت هذه الممرضة، التي تکالب عليها المسؤولون عن كل ذلك، فكشفت الأقفعه عنهم، وسبب ذلك تنافساً بين هؤلاء المستغلين المتاجرين، وأدى هذا التنافس إلى قيام صراعات عنيفة بينهم، كان من نتائجه التدمير وال الحرب.

رواية الربيع العاصف رؤية لمرحلة من حياة القرية المصرية حين امتدت إليها يد
المدينة، فنشأ الصراع بين القديم والجديد وظهرت التناقضات:

"منال تذهب إلى القرية ضائقة الصدر، كارهة، كأنها باريسية، وليس من حي السيدة زينب، وكأنها في طريقها إلى مدحع قبيلة أسطورية من أكل لحوم البشر، ليست ذاهبة إلى قرية مصرية في محافظة الغربية. وهكذا تذهب ودمعتها على خدها."^{١٦}

ونلاحظ أن صورة المرأة العاملة هذه تتكرر في كل مجتمعاتنا العربية، فما أكثر الذين استنكفوا عن الذهاب إلى الأرياف والقرى النائية، ليس فقط من الفتيات بل من الشبان أيضاً. إن الدافع القوي الوحيد الذي يمكن أن يغير من هذه النظرة هو الانتماء سواء إلى الوطن أم إلى الأمة أم إلى العقيدة والترتيب هنا من الأضيق إلى الأشمل، فالانتماء إلى العقيدة يدعو بالضرورة إلى الانتماء إلى الوطن والأمة. هذا هو جوهر الرسالة التي تصلنا من الكاتب: ماذا يحدث لعلمنا إذا ما خلا من العقيدة والروح والقيم. ستسوده لا شك الأنانية وسيطر عليه الغدر والخيانة والخوف والضياع والعبث. وقد قدم الكاتب إضاءات خافتة تشير إلى البديل: فقد كسبت منال احترام المعلم حامد لها حين أوقفته عند حده، وكذلك الطبيب الذي كان يظنها سهلة طبيعة، لكن وقوفها في وجهه جعله يدرك حاجته إليها ويطلب الزواج منها.

وأبرز الكيلاني دور المرأة العاملة التي واجهت المجمعة التبشيرية على بلاد المسلمين، خاصة الفقيرة منها في أفريقيا، فعرض رواية عمالقة الشمال قصة جاماكا بطلة الرواية التي كانت ضحية من ضحايا التنصير في أفريقيا، حيث درست فن التمريض، في أحد المعاهد الصحية التبشيرية، ثم عملت بعد التخرج في أحد مستشفيات النصارى. وحين تعرفت على عثمان أمينو الرجل المسلم الملزם قوي الشخصية كان ذلك نقطة تحول

في حياته، فهو الرجل الوحيد، الذي تعرفت عليه ولم تر منه ما رأي في غيره، من تلك على حبها، وافتتان بها، ودفعها الإعجاب بأخلاق عثمان وسلوكه إلى الاطلاع على بعض الكتب الإسلامية، والتعرف على الإسلام من مصادره الأصلية، وبينما كان عثمان في السجن الذي أودع فيه، بسبب نشاطه الإسلامي زارتة جاماً كا وفاجأته بخبر إسلامها، وهو أمر لم يكن في حسبانه، فلم يجد بعد ذلك ما يمنع أن يوح بحبه لها، الذي توج بالزواج بعد خروج عثمان من سجنه.

المخاطر التي تواجه المرأة العاملة:

ولم تسلم المرأة العاملة من مخاطر العمل واحتلاطها بالمجتمع، فصفاء في رأس الشيطان لم تسلم من المخاطر خلال عملها، فرئيس التحرير الذي لا يقل عن والدها في السن، طلب منها الزواج يوماً وعندما سمعته "انفجرت باكية، وكتمت شهقاًها ودموعها التي أفلتت منها".^{١٧} ولكن تصروفات رئيس التحرير مع سكرتيرته صفاء كانت غريبة لحد ما، فكان أحياناً يجلسها قبالته دون أن يطلب منها عمل شيء بعينه، ويتكلّم في أشياء لا رابط بينها ولا صلة لها بالعمل المنوط بها، وبعد أن فشلت محاولاته للزواج منها حاول اغتصابها، ولكن إرادة الله حالت دون هذا في أمر يشبه كرامات الأولياء الصالحين عندما اقترب منها وهم باغتصابها "تمرت يا رب" وهى بأن تدفعه لكنها أحسست بقبضته تترنح ووجهه يشحّب، وجفونه ترثخ .. ثم .. ثم ارتمى على أرض الغرفة عاجزاً مقهوراً لا يستطيع أن ينطق وصدره يعلو ويهبط.^{١٨} وكذلك لم تسلم من المحاولات العابثة التي لاقتها أثناء بحثها عن عمل جديد.^{١٩}

وبدرية في ليالي السهر قد أوزع أحد رجال المباحث إليها بأن تطلب الطلاق من زوجها المعتقل، وأفهمها أنه قد لا يخرج أبداً، وأنه سيظل مهدداً طول حياته، ووعدها بوظيفة محترمة إذا هي فعلت ذلك، بل حاول هذا النذل مغازلتها لعله يستطيع أن يصل إلى

شيء فيهم كبرياتها ويلوث شرفها، لكنها وهي عزلاء، كانت أقوى من المكر والدهاء والإغراء.^{٢٠} فحفظت غيبة زوجها، وكانت رمزا للصبر والتضحية.

وأم صابرين في رواية امرأة عبد المتجلبي كانت ألسنة الناس تذكرها دائماً، فطبيعة نجاح أم صابرين تضاربت حوله الآراء: فهو من طريق مشروع، أم غير مشروع؟ يقولشيخ الجامع لعبد المتجلبي: "زوجك أقامت إمبراطورية للشر ... إن السوق السوداء طريق إلى جهنم، والاحتكار ملعون في الكتاب والسنة، والعمل على رفع الأسعار إحجاماً بحق الفقراء وشعبنا المسكون".^{٢١}

ولم تسلم أم صابرين من المخاطر، لأنها لم تخضع لإرادة زعمائها، وكانت نهايتها المأساوية الدامية، حيث قتلت في عقر دارها، وتركـت أطفالها وزوجها يحصدون المرارة والأسى، فهل صارت ضحية سهلة لأنها صارت وحيدة بتحلي زوجها عنها، فلم يقف معها، بل ظل متشككا فيها حائراً تجاهها، أو لأن المجتمع التجاري حكر على فئة معينة لا يسهل اختراقها.

ويروي لنا عثمان أمينو في *عمالة الشمال* تجربة جاماكا مع الجهات التنصيرية التي بسطت نفوذها على أفريقيا السوداء، يقول عثمان:

"كان الله في عونك يا جاماكا!! لشد ما عانت في هذه الفترة العصبية من أهوال، هذا ما روتـه لي فيما بعد، لقد ضاقت في وجهها كل السبل وخاصة بعد أن سجن الشيخ عبد الله، وبعد أن أصبح معروفاً أنها قد اعتنقت الإسلام، طارـدـها المؤسسات التبشيرية في عنف ولاحقتها بالتهديد والتخويف في وقت ارتفعت فيه رايات الإيو والقوى المسلمة للاستعمار ... إن حل المستشفيات في يد الكنيسة، والكنيسة غاضبة عليها، ولذا كان من الاستحالة يمكن أن تجد عملاً في مستشفى آخر بعد أن فصلـت من المستشفى الأول وأصبحـت المسـكـينة بما يشبه الصدمة، لقد علمـها القساوسـة والرهـبانـ في الـبداـيةـ أنـ الدينـ محبـهـ وحرـيةـ

وتسامح، وأنه يرفض التتعصب والعنف، ويقدس كرامة الإنسان، لكنها ترى
بعينها أهيئ القيم التي حدثوها عنها في قرى الإيو من قسم، ابتساماهم الحلوة
تحولت إلى تجهم وتكشیر عن أنیاب الغدر، كلماهم الرقيقة أصبحت غدراً وسباً
.. لمسات الحنان انقلبت إلى دفع وقسوة، حاربوها في رزقها حتى كادت تموت

جوعاً. ^{٢٢}

وتفضح جاماً كـ هذه المؤسسات التنصيرية التي حاربتها في رزقها قائلة:

"كان إسلامي اختباراً ل Maher المبادئ التي يتشددون بها، إنهم متتعصبون حمقي
تحركهم نزوات حيوانية تشبه نزوات الحيوانات في الغابات، لم أعد أشك في أن
هذه المؤسسات التبشيرية لا تعرف الكثير عن الله أو الإنسان .. إنهم مجرد تجار
.. جنود في جيش كبير يخدع العالم، ويهدم لانتهاب ثرواته والسيطرة على
مقدراته، ^{٢٣}

دور المرأة العاملة في المجتمع:

براعم في ملکة العنبر قد أحب الدکتور الكيلاني من خلالها على التساؤلات
والادعاءات والاتهامات التي كانت تدور حول دور المرأة العاملة في المجتمع وحول
موقف الإسلام من المرأة عموماً، فالمؤنة في ملکة العنبر بحثت في أعمال الزراعة
والاقتصاد والسياسة، وترأس الأسرة، وفعل الخير من خلال الأعمال التطوعية، دون أن
تسبب الأذى لنفسها أو لمن حولها.

وقد قدم الكيلاني استراتيجية لإقامة المجتمع الإسلامي من خلال المرأة، وفي
أسلوب خطابي صريح يقدم الكيلاني احترامه للمرأة، وتأكيده على دورها في بناء المجتمع،
فهاهوذا الشیخ محمد حسب الله وقف في المسجد بعد صلاة الجمعة وقال: "أحدثكم اليوم

عن ابنة الرباعية الشريفة العفيفه .. الخيره .. النيرة: الانسة براعم^{٢٤}" ثم تحدث عن حبها للناس وتفانيها في خدمتهم إرضاء الله ... ثم كشف لأول مرة الدور البطولي الذي قامت به براعم تفصيلياً لدى المحافظ، وفي أمن الدولة. والقيام بكثير من الجهد والتضحيات حتى يفرج عن أبناء الرباعية، ثم مشروع زكاة العنب الذي كونت له لجنة من أفضلي الناس، فعم الخير والرخاء البلدة بأسرها، بل إنها رصدت ميزانية لرعاية أطفال مصطفى السالموني وزوجه حتى لا يضيعوا، أو يودعوا في الملاجئ، وساعدت الطلبة الفقراء بجعل مالي شهرى حتى يستطيعوا مواصلة تعليمهم، ثم يقول: "هذا - أيها الناس - هو الإسلام الحقيقي، فإذا أردنا أن نحقق مبادئ الإسلام في الدولة، فلنبدأ بأنفسنا وأسرنا، ثم إلى قرانا الصغيرة، ولا ننتظر انقلاباً مفاجئاً يطبق شريعة الله.^{٢٥}"

ولم تكن براعم هي المرأة العاملة المثالية الوحيدة في روايات الكيلاني، ولكنها المرأة العاملة في أضيق صورها، ولم يحرمنا الكيلاني من النماذج التي تعد مثالية، وتمثل المرأة في أروع صورها، سواء كانت هذه المرأة عاملة، أو ربة بيت، أو فلاحه أمية، أو امرأة متعلمة، أو طالبة جامعية، كما نجد المرأة مثيلة في الأم، والزوجة، والمرأة المتزمرة المسلمة الصالحة التي تمثل أرفع صور الالتزام، ففي أدبه الروائي نماذج مثالية للمرأة في الريف كقطيفة في رواية أبي الفتوح الشرقاوي التي وقفت بجوار زوجها في محنته ووضحت بالقراريط التي ورثتها من أجل مساعدة زوجها، والمرأة النموذجية في المدينة كما رأينا بدرية في ليالي الشهاد، والدكتورة فضيلية في رجال وذئاب، والمرأة المثالية في المجتمع التي شغلت نفسها بقضايا الأمة كما رأينا صفاء في رأس الشيطان، ونبيلة عبد السلام في رحلة إلى الله، وسكينة في حمام سلام، وصابرين في النساء الخالد، وفاطمة في عذراء جاكرتا الفتاة الشابة التي واجهت الشيوعية في بلدتها من خلال الكلمة بالعمل في الصحافة، ومن خلال الجهاد في ساحات المعارك، وجاماكا في عمالقة الشمال التي عانت من التنصير في بلدتها نيجيريا وواجهته من خلال عملها في التمريض وإسعافها للجرحى في

ساحات الجهاد، وبهذا يكون الكيلاني قد نجح في رسم صورة متكاملة للمرأة المثالية في أدبه الروائي توافق صورتها في الإسلام.

البناء الفني لصورة المرأة العاملة في روایاته:

الشخصيات:

إن صورة المرأة العاملة تبدو أساسية في تشكيل البناء الفني، والكيلاني في تقديمه للصورة يستعين بكافة الوسائل الفنية، التي تمكن الروائي من أن يجعل الشخصية حية في الرواية، حيث إنه لم يقدم شخصية المرأة العاملة مهما تكن ثانوية دفعه واحدة، والمرأة العاملة أثناء حركتها في الرواية واعية بطبيعة الجو الاجتماعي الذي تتحرك فيه، ومن ثم تتلزم في السلوك والفكر الالتزام الذي تبدو به في الحياة وليس هناك شخصية تتجاوز دورها في الواقع، ونلاحظ أن الشخصيات عند الكيلاني تقرن حياتها الاجتماعية بالأحوال العامة للوطن، فالكيلاني يقدم صورة المرأة العاملة وقد انعكس عليها تأثير المجتمع بجميع أبعاده إيجابياته وسلبياته، ومن ثم لم تعد الشخصية خيرة أو شريرة على الإطلاق، وإنما هي إنسان مركب التراثات معقد التكوين، أو هي بمعنى أوضح الصورة التي نلقى بها البشر في الواقع المعاش.

اللغة:

الكيلاني يصور المرأة العاملة بالتقدير السردي المفصل، الذي يهتم بالوصف المادي والنفسي والحركة الدرامية، حيث يقدم في البداية وصفاً متأنياً شاملًا يرسم لها صورة واضحة سواء فيما يتصل بالصفات المادية أو الأحساس النفسية، يضاف إلى هذا السرد الحوار المركز الموجي، فاللغة التي يصيغ بها الكيلاني روایاته في الأحداث أو الحوار تتركب

في وضوح عذب، لتوّكّد تمكّنه من لغته الموجية الشاعرة، ورغم هذا فهو لا يحيل أدبه إلى صنعة لغوية، وتقدّس لوحات وصفية، أو آراء نظرية عامة، لا علاقة لها بالحدث الرئيسي للرواية، فهو يبني العبارة بقدر ما تخدم الفكرة، من هنا يلتّحم الشكل بالمضمون، والحدث بالشخصية لنجد تجربة روائية حية عميقه الأثر، تبرز صورة المرأة العاملة من خلالها صادقة مع الواقع الذي تصوّره.

الأحداث:

يأتي تطور الأحداث في الرواية ليضيف أبعاداً تنمّي شخصية المرأة العاملة وتزيد من معرفتنا بها وأخيراً يأتي حديث الآخرين ليكون عنصراً من العناصر التي تساعد على تمثيل هذه الشخصية، وهكذا يبذل الكيلياني كل جهده ليستعين بعناصر فنية مختلفة تبرز جوانب شخصية المرأة العاملة التي يقدمها ممزوجة بعبير الحياة وملامح الواقع.

الخاتمة:

وأخيراً إن جهود الدكتور نجيب الكيلياني في ميدان الأدب عامّة، والرواية الإسلامية خاصة، جديرة بكل تقدير واحترام، حيث إنّها أسهمت في تعميق فكرة الأدب الإسلامي، بقصص تجمع بين قوة الموضوع، وصحته، وجمال البناء الفني وسلامته، فقد استفاد الكيلياني من تجربته الأدبية الطويلة، حتى تمكن من ناصية الأدب الإسلامي، وأصبح بلا منازع رائد الأدب الإسلامي المعاصر، وهذه الدراسة تناولت جانباً حيوياً ومهماً في مجال الدراسات الأدبية، ولكن ما زالت أعمال الكيلياني في حاجة إلى المزيد من الدراسات النقدية، فالبطل في قصص الكيلياني جدير بالدراسة العميقه، ولغة الكيلياني الروائية بحاجة إلى بحث مستقل، والبيئة بنوعيها الاجتماعي والطبيعي تصلح موضوعاً جيداً لرسالة

علمية، ويمكن إعداد رسالة جامعية بعنوان السجون في أدب نجيب الكيلاني، وبحث عن أثر المهنة في أدب نجيب الكيلاني، حيث أولى الكيلاني مهنة الطب اهتماماً كبيراً في أدبه، كما أن التطور الفني في قصص الكيلاني يعد موضوعاً من الموضوعات التي يمكن بحثها في بحث جامعي، فالكيلاني يعد مادة خصبة للأبحاث النقدية.

الهوامش:

- ١ حلمي القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية، دار البشير، عمان، ١٩٩٦م، ص ٧٨.
- ٢ الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٤.
- ٣ المرجع السابق، ص ١٣-١٤.
- ٤ المرجع السابق، ص ١٦.
- ٥ طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٩٤م، ص ٣.
- ٦ نجيب الكيلاني، الإسلام وحركة الحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢١.
- ٧ محمد محى الدين أحمد، صورة المرأة في أدب نجيب الكيلاني الروائي. رسالة دكتوراه، بالجامعة الوطنية الماليزية ٢٠٠١م.
- ٨ نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٢٣٠.
- ٩ المرجع السابق، ص ١٥٠.
- ١٠ نجيب الكيلاني، رحلة إلى الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٣٨.
- ١١ نجيب الكيلاني، عذراء جاكرتا، دار النفائس، بيروت، ط٨، ١٩٩٤م، ص ١٢.
- ١٢ نجيب الكيلاني، امرأة عبد المتجلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٧.
- ١٣ نجيب الكيلاني، ملكة العناب، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١١.
- ١٤ نجيب الكيلاني، رجال وذئاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٩٤م، ص ٢٢.
- ١٥ المرجع السابق، ص ٢٢٢.
- ١٦ نجيب الكيلاني، الربيع العاصف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٨٩.
- ١٧ نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٦٢.
- ١٨ المرجع السابق، ص ١١٣.
- ١٩ المرجع السابق، ص ٢٥١.
- ٢٠ نجيب الكيلاني، ليلي الشهاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١١، ١٠.

^{٢١} نجيب الكيلاني، امرأة عبد المتجلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٨٢.

^{٢٢} نجيب الكيلاني، عمالقة الشمال، دار النفائس، بيروت، ط ١٠، ١٩٩٢م، ص ١١٤.

^{٢٣} المرجع السابق، ص ١١٥.

^{٢٤} نجيب الكيلاني، ملكة العنب، ح ١٣٣، ١٣٤.

^{٢٥} المرجع السابق، ص ١٣٤-١٣٥.

المراجع:

١. القاعود، حلمي، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني دراسة نقدية. (عمان دار البشير، ١٩٩٦م).
٢. نجيب الكيلاني، الإسلام والمذاهب الأدبية، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م).
٣. نجيب الكيلاني، الإسلام وحركة الحياة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م).
٤. وادي، طه "صورة المرأة في الرواية المعاصرة" ، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب بجامعة عين شمس، ١٩٧٣م).

المصادر:

٥. نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
٦. نجيب الكيلاني، رجال الله، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م).
٧. نجيب الكيلاني، عذراء حاكرتنا، ط٨، (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٤م).
٨. نجيب الكيلاني، رجال وذئاب، ط١١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).
٩. نجيب الكيلاني، الربع العاصف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
١٠. نجيب الكيلاني، رأس الشيطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).
١١. نجيب الكيلاني، ليالي السهراد، ط٤، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م).
١٢. نجيب الكيلاني، امرأة عبد المتجلبي، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م).
١٣. نجيب الكيلاني، ملائكة العنبر، (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٨م).

١٤. نجيب الكيلاني، رحلة إلى الله، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م).
١٥. نجيب الكيلاني، عمالقة الشمال، ط١٠، (بيروت: دار النفاثس، ١٩٩٢م).